الخطبة الأولى

الشفاعة

1 – تعريفها، 2 – أنواعها، 3 – شفاعة النبي، 4 – شفاعة المؤمنين، 5 – شفاعة الملائكة، 6 – شفاعة الأنبياء، 7 – شفاعة الله سبحانه وتعالى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.

1 – الشفاعة، معناها الشرعي: توسل الرسول ﷺ وسجوده بين يدي ربه ليخفف عن الناس.

2 – إن الموقف في الحشر لموقف عظيم شديد مهول، كُلٌّ في عذاب وشدة ومشقة، بقدر عمله، وبقدر إيمانه، وبقدر ما يقبله الله منه من الأقوال والأعمال والنيات، فعن المقداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمهم العرق إلجاماً، وأشار رسول الله بيده إلى فيه» مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة، ثم لا ينظر الله إليهم؟» السلسلة الصحيحة (2817).

3 – الشفاعة الكبرى، وفيها يقوم الرسول ﷺ كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم

يبعثه الله المقام المحمود» صحيح البخاري.

يجمع الله المؤمنين يوم القيامة فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا! فيأتون آدم فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصابه فيستحيي ربَّه من ذلك ويقول: ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته -سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربَّه من ذلك-، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا موسى عبداً كلمه الله تعالى وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس، فيستحيي ربَّه من ذلك، لكن ائتوا عيسى عبد الله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي تبارك وتعالى، فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد! قل تُسمع وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدّاً فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد! وقل تُسمع، وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع، فيحد لي حدّاً فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد! وقل تُسمع، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدّاً فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول: يا رب! ما بقي إلا من حبسه القرآن، فيخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة. (حم، ق، ت، هـ عن أنس).

4 – دعوة النبي ﷺ لأمته، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» مسلم – مسند الإمام أحمد.

5 – شفاعته عليه الصلاة والسلام، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» حم – د – ت – حب – ك – (ن – هـ عن جابر).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ليخرجن قوم من أمتي من النار بشفاعتي يُسَمَّوْن الجهنّميّون» ن – ت – هـ.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين الملوّثين الخطّائين» ابن ماجه – وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهم جميعاً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع» م – ابن خزيمة – د.

6 – وعد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 4/ 31]، صغائر الذنوب يكفرها ربي بالأعمال الصالحة وهذا من فضله وكرمه ورحمته.

7 – الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بلا حساب، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك» متفق عليه، وعنه أيضاً قوله ﷺ: «يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» وعنه ﷺ أيضاً: «يدخل من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب» البخاري ومسلم.

وفي رواية الإمام أحمد قال ﷺ: «سألت ربي عزوجل فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفاً على صورة القمر، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً».

8 – شفاعته عليه الصلاة والسلام لعمه أبي طالب، قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قلت: يا رسول الله ﷺ إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال ﷺ: «وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح» وفي رواية: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» البخاري – حم.

ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، يجعل في ضحضاح من نار، يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه» البخاري ومسلم.

9 – شفاعته عليه الصلاة والسلام في رفع درجات بعض أهل الجنة، ومثاله دعوته عليه الصلاة والسلام لأبي سلمة رضي الله عنه: «وارفع درجته في المهديين» م – كتاب الجنائز (7).

10 – شفاعته عليه الصلاة والسلام لأقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، ومثاله أصحاب الأعراف من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قوله ﷺ: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأهل الأعراف يدخلون بشفاعة محمد ﷺ» طب – طس – ضعيف.

11 – التعوذ من النار وسؤال الله الجنة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار» ت – ن – جه – ابن حبان – صحيح.

12 – شفاعة المؤمنين لإخوانهم، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تبارك وتعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وقد غاب بعضهم في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه،

فيخرجون من عرفوا، فيشفع النبيون، والملائكة، والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج قوماً قد امتحشوا، فيلقون في نهر في أفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافتيه، كما تنبت الحَبَّة في حميل السيل، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة، وإلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه» رواه مسلم في كتاب الإيمان - البخاري (7440).

13 - والشفاعة لها ثلاثة شروط:

1 - إذن الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: 53/ 26].

2 - رضا الله سبحانه وتعالى عن الشافع، قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: 20/ 109].

3 - رضاه سبحانه وتعالى عن المشفوع، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 21/ 28].

14 - الشفاعة المردودة أو المنفية لأهل الشرك والنفاق، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: 74/ 48]، هؤلاء الذين يبقون في جهنم، فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: 74/ 42 - 48]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 2/ 48].

ومنها شفاعة إبراهيم لأبيه آزر فإنها لا تقبل لقول الله سبحانه لإبراهيم: «إني حرمت الجنة على الكافرين»، ثم يقال: «يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ مُتلَطِّخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار» البخاري (3350).

15 - فيمن لا تصلح له الشهادة ولا الشفاعة، عن أبي الدرداء رضي الله عنه -عويمر بن زيد أو عويمر بن عامر - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن اللَّعَّانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة» مسلم (2598).

16 - شفاعة الملائكة والنبيين والشهداء والصدّيقين، عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحمل الناس على الصراط، فينجي الله من يشاء برحمته، ثم يؤذن للملائكة، والنبيين والشهداء والصديقين فيشفعون» حم - طص - إسناده صحيح للسيوطي.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة يشفعون له إلّا شُفِّعوا فيه» مسلم (947)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم فيه» مسلم (948)، وقال عليه الصلاة والسلام: «من صلى عليه مئة من المسلمين غفر له» صحيح ابن ماجه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» البخاري - أبو داود - الترمذي - النسائي.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» الطبراني في الكبير والأوسط، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: 17/ 79].

17 - القرآن يشفع، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» مسلم (804).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تَقْدُمُه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ثلاثة أمثال ما نسيتُهُنَّ بعد، قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شَرْقٌ، أو كأنهما حِزْقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما» مسلم (805).

18 - الصيام يشفع، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان» حم (6589).

قال ﷺ: «إذا دخل الإنسان قبره حف به عمله الصالح: الصلاة والصيام، فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو الصيام فيرده، فيناديه: اجلس، فيجلس، فيقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ قال: من؟ قال: محمد ﷺ، فيقول: أشهد أنه رسول الله، فيقول: وما يدريك؟ أدركته؟ قال: أشهد أنه رسول الله، يقول: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث، وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه ويقول: ما تقول في هذا الرجل؟ قال: وأي رجل؟ قال: محمد ﷺ؟ فيقول: والله ما أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقول الملك: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث، وتقيض له دابة في قبره سوداء مظلمة، معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير: فتضربه ما شاء الله، صماء لا تسمع صوته فترحمه. (حم، طب - عن أسماء بنت أبي بكر).

فيا عبد الله هذا حديث أسماء فيه من العبر والمواعظ الكثيرة منها: أولاً - أن الأعمال الصالحة تحمي العبد في قبره، فالصلاة تَرد، والصيام يَرُد، وكذلك الصدقة، وبقية الصالحات. والوقفة الثانية المهمة: قول الملك: «على ذلك عشت وعليه مت، وعليه تبعث».

فيا عبد الله أُذكّر نفسي أولاً ثم أُذَكّرُكَ على ماذا عشت وما هو همّك؟ وما هي أمنيتك؟

اللهم اغفر لنا تقصيرنا وإسرافنا في أمرنا وغفلتنا يا رب العالمين، اللهم إني ظلمت نفسي ظلمـًا كبيراً وإن لم تغفر لي وترحمني لأكونن من الخاسرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين